المحاضرة رقم-1- تاريخ الفكر اللساني القديم: أولا:عند الهنود- ثانيا: عند اليونان و الإغريق

تمهيد:

تعريف اللسانيات: يرتبط مصطلح "اللسانيات" بمعنى كلمة "اللسان" من ناحيتها الدلالية؛ والذي يقصد به عضو النطق من جهة ومعنى اللغة والكلام (كمجموعة من الرموز و الأصوات) من جهة أخرى. لذا فاللسانيات(linguistique) بالفرنسية و(linguistics) بالانجليزية هي الدراسة العلمية للسان البشري من خلال دراسة اللغة الخاصة بكل قوم منطوقة أو مكتوبة وما يندرج ضمنها من لهجات متنوعة، باعتبار أن كل لغة منظومة لها سماتها، خصائصها، عناصرها، بنيتها ومستوياتها، بل تتعدى هذه الدراسة إلى البحث عن حقيقة اللغة، نشأتها، تطورها، وظائفها،قوانينها وعلاقاتها مع العلوم الأخرى.

يطلق على هذا العلم عدة مسميات بالعربية فضلا عن اللسانيات منها: علم اللغة- علوم اللغة – الألسنية -

- تقسم اللسانيات انطلاقاً من منهجها إلى:

➢ - اللسانيات التاريخية Historical linguistics.

➢ - اللسانيات المقارنة Comparative linguistics.

➢ - اللسانيات الوصفية Descriptive linguistics.

- تقسم اللسانيات حسب علاقتها بالعلوم الأخرى إلى عدة فروع أهمها:

✓ اللسانيات الاجتماعية

✓ اللسانيات النفسية

✓ اللسانيات التربوية

✓ اللسانيات الجغرافية

✓ اللسانية الأنتروبولوجية

✓ اللسانيات الرياضية

✓ اللسانيات الحاسوبية

و المفهوم السابق ذكره **حديث** كان حصيلة الدراسة الوصفية التي أكد عليها "دي سوسير" (de Saussure) في محاضرات " دروس في علم اللغة العام" (Cours de Linguistique Générale)، وهذا لا يعني بطبيعة الحال إقصاء الدراسات اللغوية التي سبقته خاصة القديمة التي سجلها التاريخ عند مختلف الشعوب في العالم في حقب تاريخية متباعدة منهم: الهنود، اليونان، الصينيون، المصريون، العبرانيون والعرب.

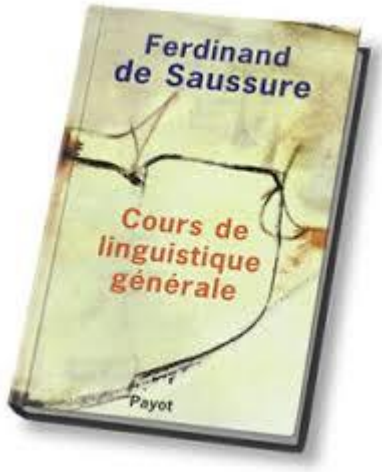

أولا: الفكر اللساني عند الهنود:

1. النظرية اللسانية العامة
2. علمي الدلالة و المعجم
3. اهتمامات صوتية
4. اهتمامات صرفية و نحوية

تمهيد:

عندما أكّد **البير ويليام جونز** (1746-1794) القرابة القوية بين السنسكرتية*واللغات الأوروبية القديمة والحديثة، تطورت الاهتمام بالدراسات التاريخية المقارنة و حمل العلماء خاصة منهم الألمان على تعلم السنسكرتية لغة وأدبا، و الدعوة إلى تعلمها في الجامعات الألمانية والانجليزية والفرنسية مع بدء

ترجمة واسعة للأدب الهندي منذ 1808، مما جعل علماء اللغة الأوروبيين ينبهرون بجهود الهنود في مجال تأصيل الدراسات اللغوية. و لعل أهمها:

1- اهتمامات تدخل في صميم النظرية اللسانية العامة:

- رغم ما اختلطت فيه الدراسة العلمية بالكثير من الخرافات الهندية خاصة في جانبها الميتافيزيقي والمعتقدات الوثنية والتي دخلت في تفسير نشأة اللغة، إلا أنه يحسب لهم براعتهم بالوصف الموضوعي المنضبط للحقائق اللغوية، وباستبعاد هذه الخرافات يمكن إيجاز الجانب الموضوعي الخاص بدراسة اللغة في النقاط التالية:

أ- نشأة اللغة: بالنسبة لنشأة اللغة تحقق الهنود من الدور المحدود جدا الذي يمكن أن يقوم به عامل المحاكاة الطبيعية في اللغة، و أن العلاقة العرفية ومبدأ التواضع الاجتماعي هو العلاقة النموذجية في ظهور اللغة و تطورها الذي أسس على اعتباطية العلاقة بين اللفظ و معناه.

ب- الطبيعة الخلاقة للغة في التعبير عن المعاني اللامنتهية انطلاقا من مصادر محدودة، كما أن المعاني التي تتخذها اللفظة الواحدة كثيرة بالنظر إلى تعدد السياقات التي ترد فيها.

ج- الفرق بين الحقيقة و المجاز و حدود كل منهما في اللغة.

د- قضية أولية الكلمة في مقابل أولية الجملة.

ذهب البعض إلى أن الكلمة هي أصغر وحدة دالة في اللغة ذهب آخرون و في مقدمتهم (بيهاتر هاري)) مؤلف «الفيكا بيديا» إلى أن الجملة هي أصغر وحدة دالة في اللغة بوصفها قولا غير قابل للتجزئة دلاليا.

هـ- الفرق بين اللغة و الكلام في نظرية (السبهوطا) مميزين بين ما هو حدث فعلي و تحقق فردي و بين ما هو موجود دائم غير مجسّد.

2- اهتمامات صوتية:

- وصف الهنود نظام لغتهم الصوتي اعتمادا على مبدأ السماع و يؤرخ لهذه الأعمال ما بين 8 ق م و 150 ق م.
- كما وصفوا أيضا الجهاز النطقي من خلال تقسيم أعضاء النطق إلى أعضاء فموية (أسنان، لسان، شفتين) أو أعضاء غير فموية (مزمار، رئتين، فراغ أنفي).

- قسموا الأصوات إلى أصوات أنفية و غير أنفية: كما قسموا الأصوات بحسب وضعية الإعاقة التي تعترض الهواء أثناء النطق فميزوا بين أصوات صوامت وقفية و أنفية و احتكاكية و أشباه صوائت و صوائت.

و أما منهجهم في وصف الأصوات فقط انطلق من أقصى الحلق إلى الشفتين، كما تم التمييز بين الجهر و الهمس بالرجوع إلى انغلاق أو انفتاح المزمار، كما أشاروا إلى وجود ثلاث نغمات في السنسكرتية الفيدية و هي النغمة العالية و المنخفضة والهابطة. كما تحدّثوا عن المقطع و طول و مدة الصوت أثناء النظرية.

3 - اهتمامات صرفية و نحوية:

النحو البانيني:

أشهر دراسة تذكر عند الهنود هو ما قام به **بانيني** حيث قام بتحليل كل مظاهر اللغة السنسكرتية و تقنيتها و هو عمل تقني دقيق للغاية يشبه قواعد الحساب و الجبر، و هو حد قول **رونين** تتويج لعمل سابق و طويل، و لم يعرف عن مؤلفه إن كان قد كتبه أو وضعه شفويا، و يرجع بعض الباحثين ظهوره فيما بين 600 ق م و 300 ق م.

و أهم ما يقال عنه أنه كان نموذجا لتقنية لغات الهند وضع **بانيني** 4000 قاعدة و هي عملية معقدة جدا يصعب فهمها لذا احتاجت إلى الكثير من الشروح تتصدرها شرح (**بانتنجالي**) الموسوم بالشرح العظيم.

و أهم ما يميز نحو **بانيني** نقاط ثلاث تبنتها اللسانيات الحديثة في أوربا، و هي:

- **الشمولية: Exhaustivness: لكل جوانب اللغة**
- **الانسجام: عدم التناقض الكلي و المستمر في دراسة الظاهرة اللغوية.**
- **الاقتصاد: الاقتصاد في استخدام الكلمات و الإيجاز في التعبير عن النتائج بأسلوب علمي محض يسود فيه الاختصار و تستعمل فيه رموز الجبر و يتفادى الحشو والتكرار.**

و مما جاء في هذه الدراسة النحوية:

أ- تنقسم الكلمة إلى أسماء و أفعال متصرفة و حروف جر و أدوات.

ب- انقسام الفعل إلى ماض و حاضر و مستقبل.

ج- عرّفوا المفرد و المثنى و الجمع. و كلمات تجمع بين الاسمية و الفعلية، كما هو الحال في اسم الفعل في اللغة العربية و الأبجدية الهندية 51 حرفا.

هـ- القاموس السنسكريتي يتكون من جذور و ليس من مفردات.

د- المنهج الموضوع الذي اتبعوه و على بنية اللغة في حد ذاتها، إذ تشبه الألفباء السنسكريتية الكتابة الصوتية.

خلاصة:

و بمثل ما سجل للدراسات الهندية من إيجابيات انعكست بالثراء على اللسانيات الغربية الحديثة ثمة بعض النقائص التي تستجب الوقوف منها:

- ندرة الاهتمام بالتركيب.
- فيما يخص علم أصول الكلمات Etymology لم يأتوا بشيء ذي قيمة.
- النتائج المتوصل إليها في الدراسة المفرداتية كانت غريبة.

ثانيا: الفكر اللساني عند الإغريق (اليونان)

بدأ الفكر اللغوي عند الإغريق في القرن السادس قبل الميلاد كغيره من الدراسات الفكرية التي ميزت العبقرية الإغريقية.

1- النحو عند الإغريق:

كان الهدف من وراء تعليم النحو عند النحاة الإغريق هو تلقين المتعلم فنون الكلام والكتابة، وقد أولع نحاتهم بالنظر العقلي و المنطقي في اللغة، و النحو، و النحو عندهم جزء لا يتجزأ من الفلسفة.

قال عنهم ليونز Lyons: «إنهم عدّوا النحو جزءا لا يتجزأ من الفلسفة، و بالتالية من البحث العام في طبيعة العالم الذي يحيط بهم، و النواميس الاجتماعية التي تتحكم».

2- الطبيعية و الاصطلاح:

تعد نشأة اللغة من المسائل المثيرة للجدال قرونا طويلة بين قائل بطبيعتها و قائل باصطلاحها؛ يرى الفريق الأول على رأسهم أفلاطون أن اللغة من صنع الطبيعة، أي أنها انحدرت من أصل تحكمه قوانين خالدة غير قابلة للتغيير، و أخذ برأيه الشذوذيون على رأسهم قراطيس و الرواقيون على رأسهم زينون.

أما الفريق الثاني يتزعمه أرسطو و يؤكد أنها وليدة العرف و التقاليد، و سار معه القياسيون و على رأسهم أرستراخوس و أبيقور.

النقاش بين دعاة الطبيعة و الاصطلاح أدى إلى الخوض في مسألة أخرى هي البحث في العلاقة بين أشكال الكلمات و معانيها، في الوقت الذي أكد فيه دعاة الطبيعة إلى التطابق بين الدال و المدلول، و أن الناس العاديين لا يمكنهم إدراك هذه العلاقة فالفلاسفة فقط بقدراتهم الفكرية من يمكنهم إدراك ذلك، و من هذه النظرية انبثق علم أصول الكلمات لأن البحث عن أصل الكلمة و بالتالي عن معناها الحقيقي يؤدي بالضرورة إلى اكتشاف حقائق الطبيعة و فهم ظواهر الكون حسب ما كانوا يعتقدون.

3- القياس و الشذوذ:

امتد الخلاف و الجدال بين الطبيعيين و الاصطلاحيين إلى غاية القرن الثاني قبل الميلاد ليشمل الجدال حول مدى انتظام اللغة، فمن تمسكوا بفكرة القياس في اللغة سمّوا بالقياسيين Analogists، و من ناهضوا الفكرة سموا بالشذوذيين Anomalists.

فالطبيعيون يرون أن اللغة نادرا ما تكون قابلة للوصف في حدود القوالب القياسية و عليه وجب العناية بالاستعمال اللغوي مهما كانت طبيعته حتى ولو كان شاذا غير عقلاني. إلى أن فصل دي سوسير في هذه المسألة بالقول باعتباطية العلاقة بين الدال و المدلول و التي سبق إليها الجرجاني بقرون: «إن الكلمة المفردة في دلالتها على معناها ليست من إملاء العقل بل هي محض اتفاق فلو أن واضع اللغة كان قد قال: "ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد».

النحاة الإغريق:

1- بروتاغوراس Pratagoras

من السوفسطائيين الإغريق الأوائل، بدأ التفكير في القضايا اللغوية في القرن الخامس قبل الميلاد، و قيل إنه أول من قام بتمييز الأجناس Genres الثلاثة في اللغة الإغريقية، المذكر و المؤنث و الوسط، و قسم الجمل إلى أنواع حسب الوظائف الدلالية العامة للتراكيب النحوية الخاصة، مثل: الإثبات والأمر والسؤال والتمني.

2- أفلاطون: (429-347 ق م)

أول من تحدث بإسهاب عن النحو الإغريقي و قواعده، دراس ظاهرة الاقتراض و التداخل اللغوي، و بين وجود أصل أجنبي لعدد كبير من المفردات الإغريقية، و قسم الجملة إلى اسمية و فعلية و ميز بين الأسماء و الأفعال، فالأسماء هي العبارات التي تدل عمن يقوم بالحدث في الجملة، وا لأفعال هي العبارات التي تدل على حدث أو صفة في الجملة.

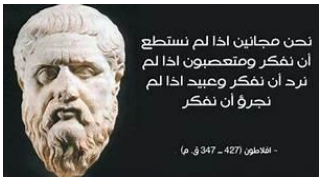

منهج افلاطون: مبني على تصور عقلي فلسفي و هو فريد من نوعه في التعريف أطلق عليه «التعريف عن طريق التقسيم»، و حسب افلاطون فإن وظيفة الكلمات هي التواصل الإنساني، و بما أن اللغة في رأيه لا تكون إلا منطقية و عقلانية، فإنه ليس بمقدورنا تحديد العلاقة بين الأشياء الوهمية في عالم الحواس و حقائق الأفكار و من جهة أخرى و محاولاته لتوضيح هذه العلاقة أدت إلى نتائج ساذجة لا يتقبلها العقل.

3- أرسطو 384-322 ق م

أرسطو تلميذ أفلاطون، و قد أبدى تفوقا على باقي زملائه، فنال بذلك شهرة واسعة، حتى أصبح يسمى بأب القواعد الغربية. و قد خالف أستاذة في أمور كثيرة منها النظرية الفلسفية للكون و أصل اللغة و طبيعتها، لم يعن بدراسة أصول الكلمات و معانيها كأستاذة، باعتبار أن اللغة وليدة الاصطلاح و العرف و التقاليد.

و يرى أن كل شيء يتكون من شكل و مادة و أن الشكل أهم من المادة، وطغت هذه الفكرة على النحو فأبعدته عن درس المعطيات اللغوية دراسة وصفية موضوعية.

إذا كان أفلاطون قسم الكلام إلى اسم و فعل، فإن أرسطو أضاف إليه الرابط Syndesma التي تشمل كل الكلمات الخارجة عن نطاق الأسماء و الأفعال، فيما غير مصطلح الوسط عند بروتاغوراس بمصطلح المحايد "Neither".

اكتشف أرسطو صيغ الفعل المختلفة في اللغة الإغريقية، و أكد على أن التغيرات المنتظمة في أشكال الفعل ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم زمن حدوثه و تدل على الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

و فوق هذا مزج أرسطو النحو بالمنطق، و ظلّ هذا المزج يصنع النحو التقليدي إلى يومنا، وصار التقسيم المنطقي إلى تصورات و تصديقات ما يناظره في التقسيم اللغوي إلى مفردات و جمل. ركز أرسطو على مبدئي التعريف و التعليل، و كانت غايته في التعريف معرفة ماهية الأشياء و تحديد معانيها، و كان هدفه من التعليل إقامة البراهين الموضوعية و العلل المؤثرة في كل الأشياء.

4- الرواقيون:

يمثلون أهم مدرسة في أثينا بعد أرسطو، و ذلك لعنايتها القصوى بالمسائل اللغوية و الفلسفية، و قد أسسها المفكر العبقري زينون Zeno في سنة 308 ق م، و حسب ليونز سبب نجاحها مبدؤهم القائم على أن الأسلوب القويم يتمثل في الحياة بانسجام مع الطبيعة، و أن المعرفة تكمن في انسجام الأفكار مع الأشياء الطبيعية الموجودة في الطبيعة، و أن هذه الأفكار ما هي إلا صور في حد ذاتها.

أكد الرواقيون على عدم التطابق بين الكلمات و الأشياء، و على وجود الظواهر العفوية غير المنطقية في اللغة، و هذا الموقف جعلهم يخضعون تراكيب اللغة إلى الملاحظة الموضوعية و استنباط المعاني من خلال السياقات المختلفة.

عالج الرواقيون المسائل اللغوية حسب طبيعتها في فروع منفصلة و منتظمة كعلم: النحو و البلاغة و الدلالة و الأسلوبية وا لصوتيات، و الايتمولوجيا.

أولو أهمية كبيرة لثنائية الشكل و المعنى، و ميزوا بين أربعة أقسام من الكلام: الاسم والفعل والحروف و الرابط، و قسموا الاسم إلى قسمين (اسم الجنس و اسم العلم)، و أدرجوا الصفة في قائمة الأسماء.

طوروا ظاهرة التصريف inflection: إضافة الزوائد للكلمة لتدل على وظيفتها في الجملة و علاقتها بسواها.

ابتكروا مصطلح الحالة الإعرابية Case، و هناك عوامل أخرى غير الزمن تؤثر في تحديد شكل الأفعال، كالأفعال التامة و غير التامة. و ميزوا بين صنع المعلوم و المجهول وا لأفعال اللازمة و المتعدية، كما ميزوا كذلك بين ثلاثة مظاهر لكل حرف مكتوب قيمته الصوتية مثل: [a] و شكله المكتوب ∞ و الاسم الذي يدعى به ألفا Alpha.

5- الإسكندريون:

نسبة إلى الإسكندرية التي كانت مستعمرة إغريقية. امتد عهد الإسكندريين من 300 إلى 150 ق م، حيث بلغت الدراسات اللغوية الإغريقية أوجها، و ابتكرت فيه الكتابة التي لازالت مستعملة لحد الآن. و في المقابل كانت هناك مدرسة برجامون التي أسسها كذلك الإسكندر في آسيا الصغرى.

يرى علماء الإسكندرية أن الطبيعة تحكمها قواعد مطردة، في حين يرى علماء برجامون أن كل ما في الطبيعة من قبيل الصدفة و لا تحكمه قوانين منسقة.

و كان لهاتين النظرتين المختلفتين أثر مباشر في دراسة الظواهر اللغوية، و أدى بالفريق الأول على رأسهم ثراكس إلى التمسك بالقياس ، و بالفريق الثاني على رأسهم قراطيس إلى التشبث بالشذوذ و رفض القوانين المنسقة.

و في القرن الثاني قبل الميلاد ألّف ثراكس كتابا في النحو سماه Téchnè Ké Grammati و هو أحسن مؤلف في العالم الغربي، قسم فيه الكلام إلى ثمانية أقسام هي: الاسم، الفعل، اسم الفاعل والمفعول، أداة التعريف أو التنكير Article، الظرف Adverbe، الضمير Pronom، الرابط conjonction، حروف الجر Préposition.

يشمل كتابه على ستة أجزاء في المعرفة العلمية للاستعمالات العامة لكل من الشعراء و الأدباء هي:

1- القراءة الدقيقة (بصوت مرتفع)، علم العروض.
2- شرح العبارات الأدبية في الأعمال الكلاسيكية.
3- تزويد الأساليب و المواضيع المختلفة بالحواشي.
4- اكتشاف أصول الكلمات.
5- استنباط الأنظمة القياسية.
6- إدراك جودة الكتابة الأدبية.

و هذه الأجزاء الستة هي مفهوم النحو عند ثراكس، أما النحو في العصر المالي فيشمل النقطة الخامسة فقط.

قام بتطوير القواعد النحوية و تصنيف مفردات اللغة الإغريقية حسب الحالة الإعرابية Case و الجنس و العدد، و صيغة الفعل، و صيغة الزمان، و صيغة المعلوم و المجهول.

ونظرا لشيوع ظاهرة تحريف المخطوطات الإغريقية في هذه المرحلة خاصة الأشعار الهوميرية، قام نحاة هذه المرحلة مسؤولية التحقيق في المخطوطات و الفصل بين المخطوطات الكلاسيكية و المخطوطات المحرّفة، و اهتموا بوضع الشروح و التعاليق لمختلف النصوص الأدبية و البحوث النحوية.

و من أشهرهم: أرستارافوس Aristrachus، و أبولونيوس ديسكولوس Apollonius, Dyscolus، و هيرودين Herodian.

خلاصة:

نظر النحاة الإغريق إلى العالم بمنظار فلسفي ميتافيزيقي فاصطبغت قواعدهم بصيغة فلسفية عقلانية، و اهتموا بوصف لغة أجدادهم، متتبعين أصل اللغة و العلاقة المباشرة بين بنية اللغة الصوتية و ما يقابلها من معنى، كما أنهم تمكنوا من توظيف الأسس المنطقية في قولبة و شرح الأشكال النحوية، ولا تزال جميع هذه القضايا محل اهتمام اللسانيات المعاصرة.

المحاضرة رقم 2: البحث اللغوي عند العرب

تمهيد: مصادر اللغويين العرب

1- مرحلة النشأة

2- الأصوات
3- النحو و الصرف
4- المعجم

تمهيد:

ما من منكر أن بدايات الدرس اللغوي العربي قد ارتبط أشدّ الارتباط بالنص القرآني قراءة وفهما و درسا، خاصة في فترة الفتوحات، لذلك يعد القرآن الكريم من أهم مصادر اللغة العربية كونه يمثل أعلى درجات الفصاحة، و رغم نزوله بلغة قريش إلا أن نظمه و لفظه يجمع لغة القبائل العربية جميعا، لذا أجاز الرسول صلى الله عليه و سلم- قراءته بالأحرف السبع المشهورة: «فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه- صلى الله عليه و سلم بأن يقرئ كل أمة بلغتهم و ما جرت عليه عادتهم: كالهذلي يقرأ (عتى حين) يريد (حتى) ... و القرشي لا يهمز، و الآخر يقرأ (قبل لهم و غيض الماء) بالإشمام ... و هذا يقرأ (عليهم و منهم) ... و الآخر يقرأ (عليهمو و منهمو) بالصلة إلى غير ذلك و لو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته و ما جرى عليه اعتياده طفلا و ناشئا و كهلا لاشتد ذلك عليه و عظمت المحنة فيه».

و المتمعن في السياق التاريخي يدرك بوضوح أثر هذه القراءات القرآنية في نشأة النحو، و أن أي مخالف لها يَعُدُّ "لاجئا" لا في قراءة القرآن فقط بل في استعمال العربية لفظا و بنية و تركيبا خاصة بعد دخول أجناس مختلفة من غير العرب، لابد من مراعاة هذا الهدف الأسمى في فهم النص القرآني والحفاظ عليه من اللحن هو الذي ألزم النحاة إشادة صرح النحو أو الدرس اللغوي بصفة عامة. لذا كان المنهج المتبع هو استقراء كلام العرب من شعر و نثر لاستنباط قواعد اللغة العربية.

فضلا عن الأحاديث النبوية المتواترة، و لو أن نسبة الاستشهاد بها عند النحاة الأولين، و فيها آراء و اختلافات كثيرة عند القدامى و المحدثين من أهل اللغة في تعليل قلة الاستشهاد.

أما بالنسبة للنحو كمصطلح لغوي جديد ظهر في القرن الأول الهجري، فقد لا يشار إلى ما هو معروف في زماننا كمستوى من نظام اللغة، بل قد يشتمل إلى جانبه مستويات أخرى.

و قد تداخلت معه مصطلحات أخرى يقصد منها التأجيل للتراث اللغوي العربي منها: علم العربية، علوم العربية، الإعراب، فقه اللغة.

أهم القضايا اللغوية العربية:

لم يُفرد العرب في بدايات تدوين الدرس اللغوي مؤلفات خاصة بمستويات اللغة العربية كل على حدة، بل كانت مختلطة بغيرها من العلوم، فالمعاجم فيها صوت و دلالة و نحو، و كتب النحو فيها مشاكل صوتية، و ترتيب صوتي.

المؤلفات الصوتية:

1- لابدّ أن أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ من كتب اللغة هو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، لكونه مرتب ترتيبا صوتيا عني فيه بمخارج الحروف من أقصى الحلق إلى الشفتين من جهاز النطق فضلا عن عنايته بتوضيح ببعض المشكلات الصوتية كالتنافر و تآلف.

و قد كان الخليل أول من رتب حروف العربية حسب مخارجها كالآتي:

ع، ح، هـ، خ، غ- ق، ك- ج، ش، ض- ص، س، ز-ط، د، ت- ظ، ث، ذ-ر، ل، ن- ف، ب-م- و، ا، ي همزة.

و قد شهد الأولون و المحدثون أن وضع أول معجم للغة العربية بطريقة فريدة لم يسبقه إليه أحد كهُو من صنيع الصفوة العباقرة الخالدين، لقد هيّأ للغويين من بعده طريقة تصنيف المعجمات على طريقة "التقليب" التي بواسطتها يمكن التمييز بين المستعمل من العربية و المهمل منها، و حذا من بعده ابن دريد في الجمهرة و الأزهري في التهذيب، و كانت إضافاتهم ثانوية لا تعدو زيادة بعض الشواهد من شعر و قرآن أو نسبتها إلى أصحابها، كما تحدث عن صفات الأصوات و نسج الكلمة و نسبة تردد الأصوات في الكلمة.

2- بالنسبة لكتب النحو لا تخلو من إشارة إلى ترتيب الأصوات أو معالجة بعض المشكلات الصوتية، فقد عالج سيبويه في نهاية "الكتاب" –و هو قرآن النحو- ظاهرة الإدغام مقدماتها بدراسة عن الأصوات و الأمر نفسه قام المبرد في "المقتضب" و كذلك فعل الزجاجي في كتابه "الجمل" والزمخشري في "المفصل".

3- و لم تَخلُ كتب التجويد و القراءات من التفصيل في الظواهر الصوتية كالإشمام و الإشباع، الاختلاس، المدّ، التفخيم، و الترقيق و غيرها، مثل كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري.

4- و حتى كتب البلاغة و إعجاز القرآن مثل "النكت" للرماني لا يُغفل الحديث عن أقسام الكلام من ناحية التآلف و التنافر.

5- و يعتبر كتاب ابن جني "سر صناعة الإعراب" أول مصنّف في الأصوات، تبعته رسالة ابن سينا "أسباب حدوث الأصوات".

المؤلفات النحوية و الصرفية:

لابد أن فضل إمام النحاة سيبويه في وضع "الكتاب" في التنظير للدرس اللغوي لا ينكره ناكر، على ما فيه من فضل للخليل لم يجحده تلميذه، و ما جاء من بعده من شروح لم يضف له إلا القليل، تناول فيه أقسام الكلام العربية و النكرة و المعرفة، الأفعال و الأسماء و المنصوبات، و الموضوعات الصرفية من الممنوع من الصرف، النسبة، التصغير، و قد تلاه كتاب "الفيصل" من وضع عالم الكوفة أبو جعفر الرؤاسي.

و قد اشتهر من نحاة البصرة الأخفش، قطرب، المازني، المبرد، و من الكوفة النسائي و الفراء، وابن السكيت، و قد ازدهر النحو بفضل مسائلهم الخلافية أيما ازدهار تمخضت عنها مدارس جديدة في مصر و المغرب و الأندلس.

المؤلفات المعجمية:

سبقت الإشارة إلى أن كتاب العين هو أول معجم في العربية، و قد رتب ترتيبا صوتيا، و قد انظم إليه مجموعة من مصنّفي المعاجم كابن دريد في "الجمرة" الأزهري في "تهذيب اللغة" و ابن قاسم القالي في "البارع" و غيرهم.

و قد تفنن العرب في تصنيف المعاجم و رتبت إجمالا وفق طريقتين إما اللفظ أو المعنى، لذا يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ- معاجم الألفاظ.
ب-معاجم المعاني.

مرّ عمل المعاجم عند العرب بثلاث مراحل أساسية هي:

1- مرحلة الرسائل اللغوية حول التي تتناول الأنواء و الحيوانات مثل المطر و الخيل و النخل و غيرها.
2- مرحلة ظهور معاجم المعاني و الموضوعات و التي ألفت في معنى أو موضوع واحد.

3- مرحلة وضع المعجمات على نمط خاص في الترتيب و تشمل أكبر عدد من مفردات اللغة مرفوقة بشرح المعنى.

بالنسبة لترتيب المعاجم في المرحلة الأخيرة كانت وفق نمطين:

1/ الترتيب الصوتي: التي يراعي فيها ترتيب المفردات وفقا لمخارج حروفها.

2/ الترتيب الألفبائي: و التي يراعي فيها التشابه الكتابي للأحرف الجمهرة لابن دريد، معجم الجيم لأبي عمرو التيساني، المقاييس لابن فارس.

3/ الترتيب الأبجدي: رغم أنه ترتيب فيبني قديم عند العرب إلا أن اللغويين لم يستخدموه في ترتيب مادة المعاجم.

مخطط يوضح كيفية ترتيب المعاجم العربية القديمة

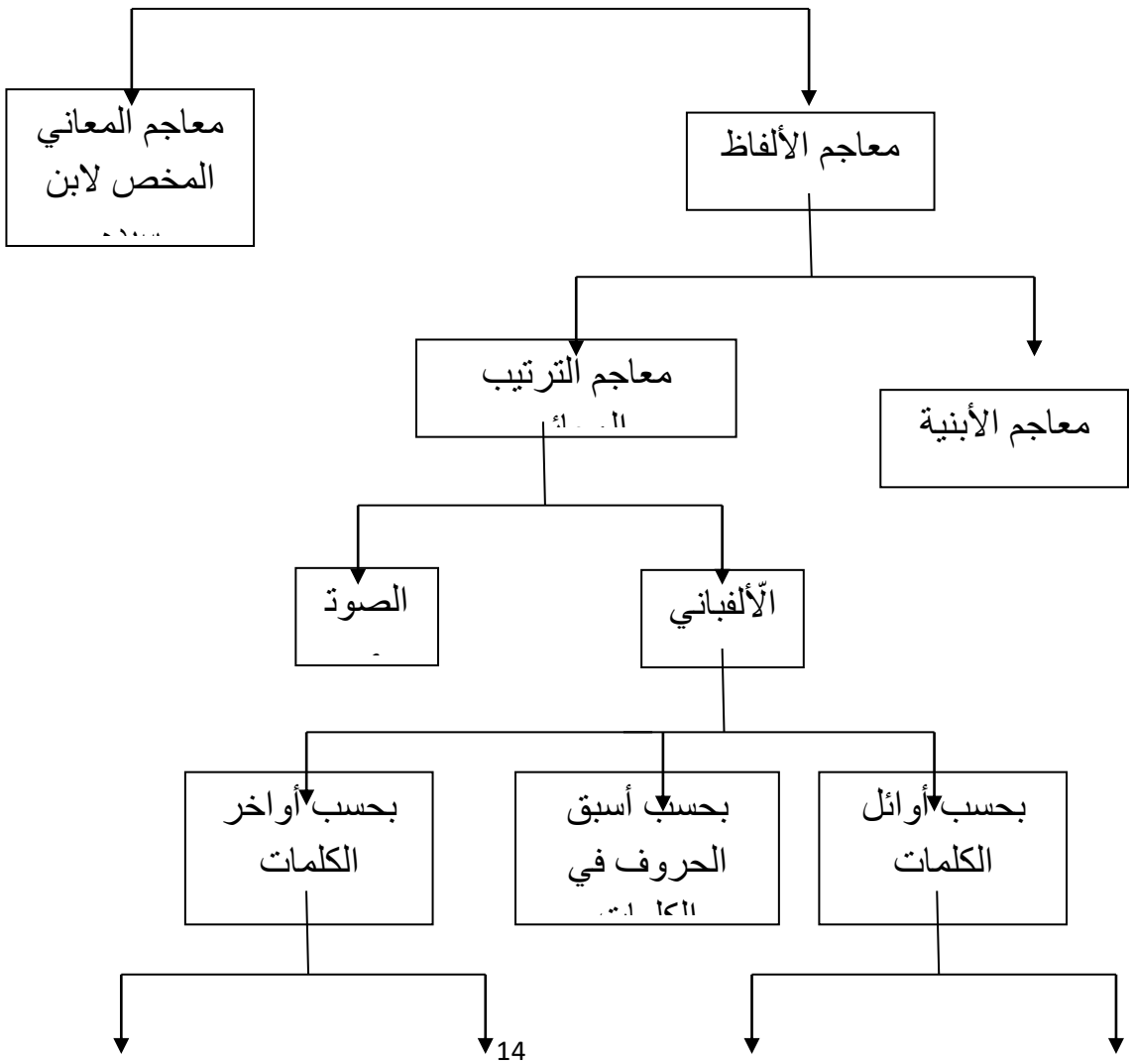

بعد	بدون	بعد	بدون

المحاضرة رقم 03- اللسانيات الحديثة مفهومها/ مادتها/ مجالاتها:

تمهيد:

أول محاولة في دراسة اللغة ترجع إلى **دانتي** حيث وصف اللغة الإيطالية في كتاب عنوانه «لغة الشعب» تحدث فيه عن أصل اللغة الإيطالية و علاقتها بالبرونفسية و بعد توسع الاكتشافات الجغرافية اكتشفت لغات كثيرة لم تكن معروفة من قبل، و دعت الضرورة إلى دراستها فاعتمدوا على منهج دانتي، في الوقت الذي أعلن فيه السير (**وليام جونز**) عن العلاقة بين السنسكرتية و الفارسية القديمة و اللاتينية و اليونانية و الجرمانية و الكلتية فكانت دراسته بمثابة تمهيد لظهور ما يعرف باسم المنهج المقارن، و من روّاده:

* **شليجل** (Shleget): أصدر كتابا سنة 1808 عن اللغة و المعرفة عند الهنود دعا فيه إلى النحو المقارن.

* **فرانزبوب** (Franzbob): أصدر عام 1816 كتاب نظام التصريف في اللغة السنسكرتية معلنا ميلاد فقه اللغة المقارن؛ قارن فيه السنسكريتية باليونانية و اللاتينية و الفارسية الجرمانية، و في عام 1823 أصدر كتابا آخر بعنوان «النحو المقارن».

* **أوجست شليشر** (Augest Schleicher): أصدر في عام 1861 كتابا (تركيب النحو المقارن في اللغات الهندوجرمانية).

* **راسك:**(Rask) أصدر في عام 1818 كتابا عن اللغة الاكسلندية، حاول فيه التوصل إلى الأصول الأول للغة الإسلندية القديمة عن طريق المقارنة بعدد كبير من اللغات الهندوأوربية.

* **جريم:**(Grim) في عام 1819 أصدر الجزء الأول مت كتابه النحو الألماني و قسمه إلى حقب تاريخية، و بعد ضمن النحو التاريخي.

* و في عام 1922 عدل هذا الجزء و أضاف إليه كغير الأصوات في اللغات التي قارن بينها، و استنتج بهذا التغير قوانين ثابتة، سميت فيما بعد باسم "قوانين جريم".

* و في عام 1870 ظهرت مجموعة النحاة الجدد (**N**eogrammarians) تضم: كارل فيرز، هيرمان بول، بروجمان و اعتبرت السنسكريتية أساس البحث اللغوي و يؤكد (ماكس مولر) أن السنسكريتية هي الأساس الوحيد لفقه اللغة المقارن.

* و يحاول المنهج المقارن أن يثبت أن اللغات تتغير و أن اللغات المختلفة قد تتشابه في ناحية أو ناحيتين يهتم هذا المنهج بوضع الصيغ الصرفية و التراكيب النحوية للغات مختلفة جنبا إلى جنب ليقارن بينهما و من المقارنة يمكن استنتاج شيئين:

1- درجة الصلة بين عدة لغات وضعت تحت الفحص.

2- الشكل الذي يبدو أقرب إلى اللغة الأم التي تعد الأصل المشترك لهذه اللغات، و هذا ما يسمى بإعادة البناء الخارجي.

و عندما يقرر الباحث انتماء لغات متعدد إلى أصل مشترك فإنه يجب أن يتأكد أولا أن تلك اللغات تشترك جميعا في ثلاثة أشياء هي:

أ- التراكيب النحوية الأساسية.

ب- المفردات.

ج- الأصوات و الفونيمات

اللغويات الوصفية:

اهتم النحاة الجدد بالمنهج التاريخي و المقارن و لكن في مرحلتهم الأخيرة اهتموا بعلم الصوتيات الوصفي و طبقوه على اللغات الحية. و قد كان **فرديناد دي سوسير** أول من ابتعد عن اللسانيات التاريخية و دعا إلى دراسة الكلام المنطوق دراسة وصفية.و يقصد باللسانيات الوصفية Déscreptive Linguistics : " دراسة بنية اللغة بمعايير موضوعية. و تتكئ هذه المعايير على عملية الفصل بين ما هو ذي صلة بالظاهرة المدروسة و ما هو زائد (أو فضلة)، و الكشف عن وجوه التقابل المؤسسة على مبدأ الثنائية".

لذا فإنّ منهج دي سوسير يقوم على دراسة الثنائيات في مستوى الكلام المنطوق عوض النصوص المكتوبة، و على تحليل النظام الباطن للغة بدلا من المقارنات المعجمية و النحوية، و على وضع اللغة في وسطها الاجتماعي بدلا من النظر إليها بوصفها جملة من السمات الفيزيائية.

ترجمة لـــ: دي سوسير:

ولد دي سوسير في جنيف (1857-1913) في أسرة مثقفة، درس في جامعة لايبزيش الألمانية سنة 1876 ، تحصل على درجة الدكتوراه و هو ابن 22 سنة عن عمله الموسوم بـــ: " حالة الجر المطلق السنسكريتية". درّس في الجامعة الفرنسية ما بين:1880-1891 النحو المقارن و التاريخي، ثم عاد إلى جنيف عام 1896 انقطع فيها عن التعليم لظروف اجتماعية، ثم رجع مرة أخرى للتدريس في 1907 حيث قدم خلال هذه العودة مختلف آرائه حول نظريته العامة في تفسير اللغة و دراستها، والتي دونها ونشرها رفقاؤه و طلبته ثلاث سنوات بعد وفاته ، في شكل كتاب لم يكتب له من الشهرة والصيت إلا بعد سنة 1929. ومردّ ذلك التعليقات السلبية التي حجبت الجوانب الإيجابية لهذه النظرية العلمية بسبب توجه أصحابها و رسوخهم في المنهج التاريخي.وبعد أن اطلع عليه العالمان الشابان الروسيان الأمير "نيكولاي تروباتسكوي" و "رومان جاكوبسون" في موسكو عن طريق أحد طلبة دي سوسير "كارفيسكي" الذين لفتوا انتباه اللغويين لدقة الأفكار والمعاني وخطورة هذه النظرية الجديدة

أمّا أهم المسائل النظرية التي تطرق إليها في محاضراته فتتمثل في:

1- **موضوع اللسانيات:** فرع من السيماء sémiology أي علم العلامات العام الذي يدرس الأنظمة المختلفة للأعراف التي تمكن الأعمال البشرية من أن يكون لها معنى و يعتبر في عداد العلامات.

و بهذا يمكن أن تكون اللسانيات نموذجا حيا للسيمياء لأن طبيعة العلامات الاعتباطية والعرفية في اللغة واضحة للغاية و لا يعتريها أي غموض: «إن موضوع اللسانيات الصحيح و الوحيد هو اللغة في ذاتها و من أجل ذاتها».

2- **مادة اللسانيات و مهمتها:**

قدم دي سوسير لمحة عن تاريخ اللسانيات في الفصل الأول من محاضراته "مبادئ في اللسانيات العامة"، و في الفصل الثاني تطرق إلى مادة اللسانيات و مهمتها و علاقتها بالعلوم الأخرى.

قال: «إن مادة اللسانيات تشمل كل مظاهر اللسان البشري سواء أتعلق الأمر بالشعوب البدائية أم الحضارية، أو بالعصور القديمة أو بعصور الانحطاط ».

أما مهمة اللسانيات فقد لخصها في ثلاث نقاط هي:

أ- تقديم وصف لجميع اللغات و تاريخها، بالإضافة إلى سرد الأسر اللغوية و إعادة بناء اللغة الأم لكل منها كلما أمكن ذلك.

ب- تحديد القوى الكامنة المؤثرة بطريقة مستمرة و شاملة في كافة اللغات و استخلاص القوانين العامة التي تتحكم في كل الظواهر التاريخية الخاصة.

ج- تحديد نفسها و التعريف بنفسها كما أنه أكد على علاقة اللغة بالعلوم الأخرى كالانتوغرافيا(علم وصف الشعوب)، و ما قبل التاريخ و الانتروبولوجيا و الفيلولوجيا، و علم الاجتماع، و علم النفس الاجتماعي.

اللسانيات الوصفية: هي الدراسة العلمية للغة الإنسانية، تقوم على الوصف و معاينة الوقائع بعيدا عن النزعة العلمية و الأحكام المعيارية، فهو من أم العلوم الإنسانية التي تتخذ من لغة البشر موضوعا له يصفها و يحلل بنيتها.

3- اللسان و اللغة و الكلام: Le langage / la langue:

يدل اللسان على النظام العام للغة، و يضم كل ما يتعلق بكلام البشر، و هو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام و يتكون من ظاهرتين مختلفتين: اللغة و الكلام و اللغة في نظر دي سوسير واقعة اجتماعية ليست مجردة بل متواجدة بالفعل في عقول الناس فهي بمثابة الذاكرة الجماعية التي لا يطيق فرد واحد أن يختزنها بل هي موزعة في عقول كل أفراد الذين يتكلمون بلسان واحد، و يمكن صياغتها: 1+1+1+1+..... (نموذج جمعي).

أما الكلام: فإنه فعل كلامي ملموس، و نشاط شخصي مراقب، يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد أو كتاباتهم، و هو مطابق لمفهوم الأداء (عند تشومسكي)تقريبا.

4- منهج دي سوسير في دراسة اللغة: (ثنائيات دي سوسير)

1. **السنكرونية مقابل الدياكرونية** أو التزمّنية(الآنية) و الزمانية /Sunchrony Diachrony: تحليل اللغة سنكرونيا أي آنيا خلال فترة محددة من الزمن، و هذه الفترة لا تقتصر على الحاضر، و لكنها قد تكون على مسافة منا بقدر ما تسمح به الوثائق التي تحت أيدينا، مع الوضع بعين الاعتبار التغيرات التي تطرأ على اللغة عند الانتقال من فترة إلى فترة.

2. **اللغة و الكلام**: اللغة اجتماعية و الكلام فردي، اللغة ذات طابع تجريدي، في حين الكلام ملموس.

3. **الدال و المدلول:**(signifie/signifié) أو اللفظ و المعنى أو الصورة السمعية/الصوتية و الصورة الذهنية، العلاقة بينهما اعتباطية؛ يرى دي سوسير أن اللغة نظام من العلامات و أن العلامة علاقة بين شيئين المفهوم (الدال) و المدلول و تمتاز العلامة بالاعتباطية و يمكن أن تكون العلامة لغوية و غير لغوية.

تمتاز العلامة اللغوية في كونها عملة ذات وجهين و علاقة بين هذين الوجهين هي العلاقة الجامعة بين الصورة الصوتية و الصورة الذهنية (المفهوم) و الصلة بينهما تولد المعرفة، أما العلامة غير اللغوية فإنها تتعدى المنطوق إلى ما هو بصري كعلامات المرور ولغة الصم والبكم والشفرة السرية ودراسة الأزياء وطرائق الطبخ.

4. **العلامة اللغوية:** اللغة في نظر دي سوسير عبارة عن مستودع من العلامات و العلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين، و تضم جانبين أساسيين هما الدال و المدلول. الدال هو الصورة السمعية التي تدل على شيء ما أو تعني شيئا ما و المدلول هو التصور أو الشيء المعني.

و يرى دي سوسير «أن العلامة اللغوية لا تربط شيئا باسم بل تصوّرا بصورة سمعية، و هذه الأخيرة ليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف، بل هي البصمة النفسية للصوت، و ذلك الانطباع الذي نشكله على حواسنا».

و هكذا فإن فكرة العلامة عنده تختلف اختلافا جذريا عن المفهوم القديم الذي يتراوح بين الاسم و المسمى أو الكلمة و الشيء، و إنّ غرض اللسانيات هو دراسة هذه العلامة التي يمكن ملاحظتها كملاحظة الأشياء الأخرى، و التي يغلب عليها الطابع الاعتباطي، و تتصف بالتغير و الثبات في آن واحد.

5- الرأسية و الأفقية: (syntagmatic/ pragmatic)

تتقابل العلامة مع علامات أخرى تأتي قبلها أو بعدها في الجملة، و علاقتها مع العلامات السابقة أي التالية علاقة أفقية، و تتقابل العلامة مع علامات أخرى ليس لأنها في الرسالة و لكن لأنها تنتمي إلى اللغة.

6- ثبوت العلامة و تغيرها:

أ- الثبوت: أراد أن يؤكد دي سوسير رغم تناقض هذه الثنائية- أن اللغة تتغير على الرغم من عدم مقدرة الناطقين بها على تغييرها، و عادة ما تميل العلامات إلى الثبوت لأن ثمة قوى تعمل على منع التغير اللغوي، و تقاوم التبدل الاعتباطي، و من بين هذه القوى كما يقول (وترمان) «الثروة المفرداتية الكبيرة، و البنية اللغوية المعقدة، و الجمود الذي يميز اللغة بالإضافة إلى كون اللغة ملك للجميع، و أن جذورها ضاربة في أعماق التاريخ و نحن ورثناها عن الأجداد، و ما علينا إلا تقبّلها».

فالقوى التاريخية هي التي تقاوم التغير اللغوي الاعتباطي، و خاصة المفاجئ و السريع.

ب- التغير: تتغير اللغة بصورة تدريجية عبر الزمن، و يمس هذا التغير خاصة أشكال المفردات و معانيها، و يقصد دي سوسير بالتغير: «التغيرات الصوتية التي تصيب الدال، أو تلك التغيرات في المعنى التي تصيب تصور المدلول ... و مهما تكن قوى التغير ... فإنها تؤدي دائما إلى تبدل العلاقة بين الدال و المدلول».

و يقول دي سوسير أن اللغة غير قادرة عن الدفاع عن نفسها ضد القوى التي تغير من حين لآخر العلاقة بين الدال و المدلول، و هي إحدى عواقب الطبيعة الاعتباطية للعلامة. أما عن سبب التغير فهناك عدة نظريات منها: نظرية البنية الداخلية الشهرة الاجتماعية، السيكولوجية، الذوق، اللغات المتنحية، الأسرة اللغوية، الأمواج ...

8- القيمة اللغوية:

إن اللغة في نظر دي سوسير لا يمكن أن تكون إلا نظاما من القيم المجردة، و تكمن قيمة الكلمة في خاصيتها التي تمكنها من تمثيل فكرة معينة، و قد جاء بهذا المفهوم (La valeur) من الاقتصاد؛ و القطعة النقدية لا يمكن معرفة قيمتها إلا بما يقابلها من خبز أو طعام ... أو عملة أخرى.

و بذلك يمكن تبديل كلمة بشيء مغاير كفكرة ما أو تشبهها بشيء من طبيعة واحدة ككلمة أخرى مثلا، إذن فقيمتها ليست ثابتة ما دامت يمكن تبديلها بتصور آخر.

و من بين الأمثلة التي أوردها لتوضيح مفهوم القيمة كلمة "mouton "بمعنى خروف، في الفرنسية الحديثة، تقابلها في الانجليزية Sheep، و لكن ليس لها القيمة نفسها، فكلمة mutton في الانجليزية هي قطعة لحم مهيأة للأكل على المائدة. إن الاختلافات في القيمة بين sheep و mutton يعود إلى أن الكلمة الأولى لها عبارة أخرى تقابلها، في حين تنعدم في الفرنسية، فصيغة الجمع في الفرنسية ليست لها القيمة نفسها في العربية؛ فالعينان و الأذنان و اليدان جمعا في الفرنسية بينما هو مثنى في العربية و السنسكريتية.

9-الشكل و المادة:

التمييز بين الشكل و المادة هو تمييز بين النظام الذي يستنبطه الباحث و بين المادة اللغوية الفعلية، النظام هو الإطار التجريدي و المادة هي الأحداث التي تجري في العالم الحقيقي.

10- السيمياء و المؤسسات الاجتماعية:

السيمياء "semiology" علم يدرس حياة كل العلامات المستخدمة في المجتمع كاللغة و العادات و الطقوس و يبين مكوناتها و قوانين تنظيمها، و مع هذا فإنه فرع من علم النفس الاجتماعي و من ثمة من علم النفس العام و اللسانيات عند دي سوسير جزء من السيمياء و من الممكن تطبيق القوانين التي تكتشفها السيمياء على اللسانيات، و بهذا يقيدها بمجموعة من القواعد الانتربولوجية.

لقد بات معروفا عند العام والخاص أنّ أعمال دي سوسير قد أسست لمختلف اتجاهات اللسانيات المعاصرة من خلال إعادة قراءة منشوراته بالدفاع عنها أو بنقدها.

المحاضرة رقم -5- خصائص اللسان البشري

تشترك كل الأنظمة السيميولوجية في القدرة على التواصل و التعبير، غير أن التواصل بواسطة اللغة البشرية لا يقف عند حدود الإبلاغ و الإخبار بل يسعى إلى مشاركة الآخر (المتلقي/ القارئ) مع فعل التواصل و التأخير فيه و انتظار جواب منه سواء أكان إراديا أم تلقائيا.

و كما اتفق العلماء على جملة منم خصائص اللغة فقد اختلفوا في غيرها، و رغم نذكر أهمهم ما تميزت به اللغة عن غيرها ممن الأنظمة السيمائيية وحتى عن لغة الحيوان، و لعلّ أهم ميزه لم يختلف فيها العلماء هي كون:

1- اللغة بشرية: و يقصد بهذه الخاصية أن اللغة بطبيعتها الصوتية و وظيفتها الاجتماعية ظاهرة تخص الإنسان و هي ما تميزه عن الحيوان و قدد أجمل شارلزهوكيت Charles F Hockett في حوالي خمسة عشر فرقا في كتابه The problem of universals in language يميز فيها لغة البشر عن الحيوان من ناحية الأشكال و الأصوات و القواعد و الاكتساب و غيرها. و فضلا عن ذلك فإن للغة ميزات أخرى.

2- اللغة نسق من الأصوات: التي يكتسبها الإنسان، تنتظم في نسق فونولوجي خالص بكلّ لسان على حدة، و ما يحتاج إليه هذا اللسان، قد لا يحتاج إليه لسان آخر.

3- اللغة سلوك إرادي تلقائي: بينما يغلب الجانب الاصطناعي على باقي الأنظمة السيميولوجية التي يطلق عليها مجازا مصطلح لغة، حيث أن الضحك و البكاء و السعال ليست لغات بالمعنى الدقيق.

4- **خطية اللغة**: Linéarité بمعنى تتابع العناصر في الترتيب الذي تظهر فيه به قيمة أساسية في تحديد الخطاب و بالتالي التواصل الذي وجب تحقيقه.

5- **تحديدية اللغة:** فالصوت اللغوي دائما محددا، فالصوت إما (ب) أو (م) و لا يمكن أن يكون الاثنين معا، و كل عنصر لغوي أيا كانت طبيعته يقع في نقطة زمنية محددة بالقياس على غيره من العناصر، فلا يمكن أن نجد أكد من كلمة واحدة في الوقت ذاته.

أما الابتسامة مثلا ليست خطبة، يمكن أن تكون ابتسامة أو ابتسامات.

6- **التحول اللغوي:** يستطيع الإنسان أن يعبّر عن ماضيه و حاضرة و مستقبله، حيث توفر له اللغة إمكانية السفر من زمان إلى آخر متجاوزا حدود المكان، و يطلق على هذه الخاصية كذلك "الاستبدالية".

7- الانتقال اللغوي: و يسمى كذلك بإمكانية التعلم، و هي قدرة الإنسان على تعلم اللغة و تعليمها أي نقلها و تمريرها لغيره و تندرج ضمن هذه الخاصية ميزة أخرى ي الانتقال الثقافي.

تضاف إليها مجموعة من الخصائص الأخرى منها:

8- الإبداعية: و هناك من يسميه بالإنتاجية و يقصد به قدرة الإنسان على إبداع كلام جديد غير الذي سبق و أن سمعه بخلق جميل جديدة، فلا يكرر ما قاله و لوكان الموضوع نفسه.

9- التقطيع المزدوج La double articulation: مردّ هذه الخاصية إلى زعيم المدرسة الوظيفية "أندري مارتينيه" مفادها أن الكلام البشري يمكن تقطيعه من حيث تركيبه و بنية ألفاظه إلى مستويين،

اللمستوى الأول و يسميه (المونام) Monème حيث يمكن تقطيع الكلام إلى وحدات صوتية ةذات دلالة أي مستقلة في المعنى. و مثال ذلك في العربية جملة "تحررت فلسطين" فالتاء فالفعل "تحرر مونام، و تاء التأنيث مونام و فلسطين كذلك.

و يفيدنا هذا النوع من التقطيع في التعرف على الوحدات الدالة داخل التركيب و ما يعتبر بها من تغيرات و هو يقابل علمي الصرف و النحو في العربية.

فيما يخص المستوى الثاني، فهو يتم على مستوى المونيمات نفسها حيث يمكن تقطيعها إلى أصغر وحدات صوتية و لكنها غير دالة و غير قابلة للتقطيع و تسمى بـ phonemes.

التواصل اللغوي عند دي سوسير:

سبق الحديث عن أهم الأساسيات التي قام عليها علم اللغة الحديث على يد العالم السويسري «دي سوسير»، و تتجلى أصول نظرية عنده من خلال إرجاعها إلى أصولها البيولوجية و الفيزيائية؛ جعل نقطة انطلاق هذه الدورة من دماغ أحد المتحاورين المتكلم للوصول إلى المخاطب، حيث تنتقل الصور الصوتية التي في حقيقها صور ذهنية تتداخل الجاني النفسي للباث (المرسل)- لتنشر عبر موجات فيزيائية إلى أذن المرسل إليه حيث تتحول بدورها إلى صور ذهنية يترجمها ذهن المتلقى ثم يعكسها في شكل صور صوتية، و هكذا تستمر هذه الدورة التخاطبية المغلقة، و يمكن تمثيلها كالتالي:

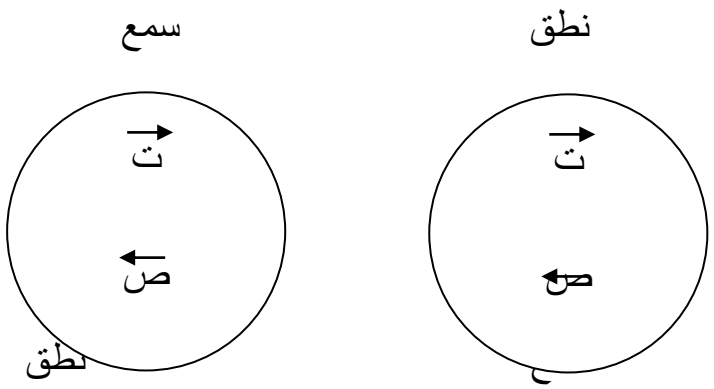

مخطط للدورة التخاطبية عند دي سوسير

المحاضرة رقم – 6- اللسانيات و التواصل اللغوي:

تحديد مفهوم اللغة مرتبط أساسا بمفهومين خاصين بجوهر اللغة في أبعادها الفردية و الجماعية و هما التعبير Expression و التواصل Communication «فالتعبير و التواصل يحدد أن ماهية اللغة يكرّسان عمليا وجودها الفعلي».

و يمكن أن يفهم التعبير وا لتواصل وظيفة واحدة و موحدة بحسب الطبيعة التي تسند إليها، و لكن لابد من التمييز بينهما:

1- التعبير: وظيفة طبيعية و عامة تتجاوز حدود ما هو لغوي بالمعنى الدقيق يشمل كل التظاهرات الدالة و غير الدالة المغبرة بكل الأشكال و الوسائل عن مختلف الأنشطة الجسدية أو الفكرية أو العاطفية منفردة أو مجتمعة، و يكون التعبير نشاطا رمزيا عفويا أو مقصودا، إراديا أولا إدراكيا لبيان حالة ذهنية أو شعورية أو موقف عاطفي مما يختلج داخل الذات و الجسد و الفكر إزاء العالم الخارجي و إزاء الذات المعبّرة نفسها.

يحصل التعبير بأبسط الوسائل و أقلّها (الانفعالات التلقائية/ الإشارات الجسدية) إلى أكثرها تنظيما وإتقانا و تعقيدا كما هو الشأن في اللغة و الآداب و الفنون، فكما الإشارة باليد و الرأس تعبير، فكذلك القصة و الرواية و الشعر تعبير، و كذلك تنظيم حقل أو مهرجان، أو تتبع قانون المرور أو الانتفاضة الفلسطينية، و حين يكون التعبير لغويا فإن اللغة المكتوبة أو المنطوقة هي وسيلته، لأنها مؤسسة دلاليا عن طريق تناسق العلامات اللسانية وحدها و ترابطها.

2- التواصل: هو تعبير موجّه إلى الغير، يفهم و يؤول بالضرورة بين مجموعة من الأفراد تتواضع على دلالة الوحدات اللسانية و معانيها و طرائق استعمالها في إطار مجتمع لغوي محدد. و يقوم التواصل الإنساني على وسائل لسانية بالدرجة الأولى، و لكنه قد يحصل بوسائل أخرى كالرسم و الحركة (الإشارة) و الكتابة، و هو ما يجعله تعبيرا فنّيا أو غيره، لذا كانت العلاقة بين التعبير و التواصل وطيدة، فكل تواصل تعبير، و لكن ليس كل تعبير تواصلا، فالحوارية و التفاعلية و التبادل اللغوي أساس التواصل: بينما لا يتطلب ضرورة حضور الآخر و مشاركته في التعبير.

التواصل أساس الحياة: التواصل مع الآخر هو السؤال عن أحواله، و تبادل المشاعر و الأفكار واستعراض الأخبار و وجهات النظر، فهو عملية تبادل المعلومات و الآراء و الأفكار و التجارب ونقلها من شخص لآخر يقصد تفاعل و التأثير المعرفي أو الوجداني أو الإخبار بشيء أو الارتقاء بمستواه الجمالي أو القيمي أو التعريف عنه أو إقناعه، و بالتواصل يتم توزيع الأنشطة المختلفة في المجتمع.

و بما أن التواصل الاجتماعي شكل من أشكال الوجود الاجتماعي مع الآخر، و أن الأحداث اللغوية مرتبطة بالأحداث الاجتماعية، فهذا يرجع إلى طبيعة الإنسان التي تتضمن:

- قابلية التواصل .
- قابلية الاجتماع.

و هما مظهران أساسيان في البعد الفردي و الاجتماعي للإنسان يصعب الفصل بينهما، أو تحديد أيهما أسبق في الوجود، و لا يمكن الحديث عنهما خارج مجتمع معيّن.

التواصل ليس جديدا بالنسبة للإنسان، و إنما الجديد هو التطور العلمي و التكنولوجي الذي أعطى للتواصل وسائل متنوعة و متعددة (الهاتف بأنواعه، الكمبيوتر، الانترنت)، حيث تم تطوير أساليبه و تقنياته بشكل مذهل و يقابل التواصل اللغوي التواصل غير اللغوي.

و يطلق على كل سلوك إنساني أو حيواني يمكنه أن يؤول على أساس أنه إشارة، لكنه ليس بالضرورة تواصلا رغم أنه قد يكون محمّلا بالأخبار.

و لا يمكن تحقيق التواصل على الوجه الأكمل إلا بوجود المكونات الأساسية و هي:

- الوسيلة: و هي الطريقة أو القناة التي تنتقل بها الرسالة.
- المستقبل: و هو الجهة أو الشخص الذي توجّه له الرسالة و يستقبلها من خلال إحدى أو كل حواسه المختلفة (السمغ، البصر، و اللمس).
- ترتبط وظائف التواصل بحاجات الناس المادية و غير المادية على السواء، فالناس يتطلعون إلى تحقيق نمو ذواتهم من ثقافة و حرية و استقلال و احترام الكرامة الإنسانية، فضلا عن اتساع حاجاتهم المادية. كما أن للتواصل دورا حاسما في تدبير شؤون التعلم و المعرفة و تنظيم الذاكرة الجماعية للمجتمع.
- يرتبط التواصل كذلك بمفهوم الإخبار. يتحدد الإخبار فيما يكون له معنى بالنسبة إلى الباث وله مصطلحات:

1) إخبار إشارة information du signal مجموعة من العلامات اللغوية تقابل لفظة إشارة كلمة العلامة اللسانية.

2) إخبار دلالي information sémantique المعنى الذي تحمله هذه الإشارة و يترتب عليها تأويل معين interpretation المعلومة الدلالية هي ما يتبادله شخصان بحيث أن الملتقى لم يعرفها من قبل ، ليس هناك إخبار دلالي إلا إذا ساهم التواصل في إضافة معلومات جديدة.

و تقاس درجة الإخبار على أساسين:

- موقعه و مكانته في القناة التواصلية
- محتواه الإخباري إلى المعلومة التي يحمل.
  - إن كمية الإخبار Quantité de l'information أو المحتوى الإخباري للرسالة مرتبط بكمية بـ **اللايقين** التي يمكن للرسالة أن تزيلها من ذهن المتلقي.
  - و يعتبر علماء الإخبار أن قيمة المفاجأة لخير ما كبيرة كانت الإشارة دالة أكثر، أي تحمل كمية أكبر من المعلومات الجديدة.

- ما يهم نظرية الإخبار من الوجهة التقنية و هذا هو أصلها الفعلي (نظرية الاتصال عند "شانون" و "ويفر" 1949 و ليس ما يهم الباحثين الآخرين في علم الدلالة و اللسانيات النفسية، و ما يهم المهندس التقني في التواصل هو خبر الرسالة و ما يهم الآخرين هو دلالتها.

التواصل الاجتماعي شكل من أشكال الوجود الاجتماعي لأن طبيعة الإنسان تتضمن شيئين اثنين:

- قابلية الاجتماع
- قابلية التواصل

و هما مظهران في البعد الفردي و الاجتماعي للإنسان يصعب الفصل بينهما أو تحديد أيهما أسبق داخل المجتمع.

مفهوم التواصل:

1- لغة: من الاقتران و الاتصال و الصلة و الجمع و الإبلاغ و الإعلام و تعنى كلمة التواصل في اللغة الأجنبية (Communication)إقامة علاقة تراسل و ترابط و إرسال و تبادل و إخبار.

2- اصطلاحا: يدل على عملية نقل الأفكار و التجارب و تبادل الخبرات و المعارف و المشاعر بين الذوات و الأفراد و الجماعات، و يتأسس التواصل على أركان ضرورية و هي المرسل و المتلقي والشفرة، حيث يتفق في تسنينها كل من المرسل و المستقبل و الرسالة.

و يعرّفه شال كولي (Charles Cooley) «التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية و تتطور. إنه يتضمن كل رموز الذهن، مع وسائل تبليغها عبر المجال، و تعزيزها في الزمان، ويتضمن أيضا تعابير الوجه و هيئات الجسم و الحركات و نبرة الصوت و الكلمات و الكتابات المطبوعات و القطارات و التلغراف و التلفون، و كل ما يشمله آخر ماتم في الاكتشافات في المكان والزمان».

و يعرّفه طلعت منصور بأنه: «العملية التي بها يتفاعل المراسلون و المستقبلون للرسائل في سياقات اجتماعية معينة».

و من خلال هذا التعريف يمكن إجمال وظائف التواصل في:

1. التبادل Echange
2. التبليغ Transfert
3. التأثير Impact

و مهما تعددت مفاهيم التواصل إلا أن ما يجمعها هو كونه عبارة عن تفاعل بين مجموعة من الأفراد و الجماعات، يستمد من خلاله تبادل المعارف و المشاعر بطريقة لفظية و غير لفظية.

التواصل اللغوي عند رومان جاكوبسون:

يذهب رومان جاكوبسون (Roman Jackobson) إلى أن اللغة ذات بعد وظيفي، تتفاعل معها ستة عناصر هي: المرسل و وظيفته انفعالية، المرسل إليه و وظيفته تأثيرية، الرسالة وظيفتها جماعية، المرجع و وظيفته مرجعية، القناة و وظيفتها حفاظية، و اللغة و وظيفتها وصفية، و هناك من يضيف الوظيفة السابعة و هي الأيقونة.

مخطط التواصل عند رومان جاموبسون

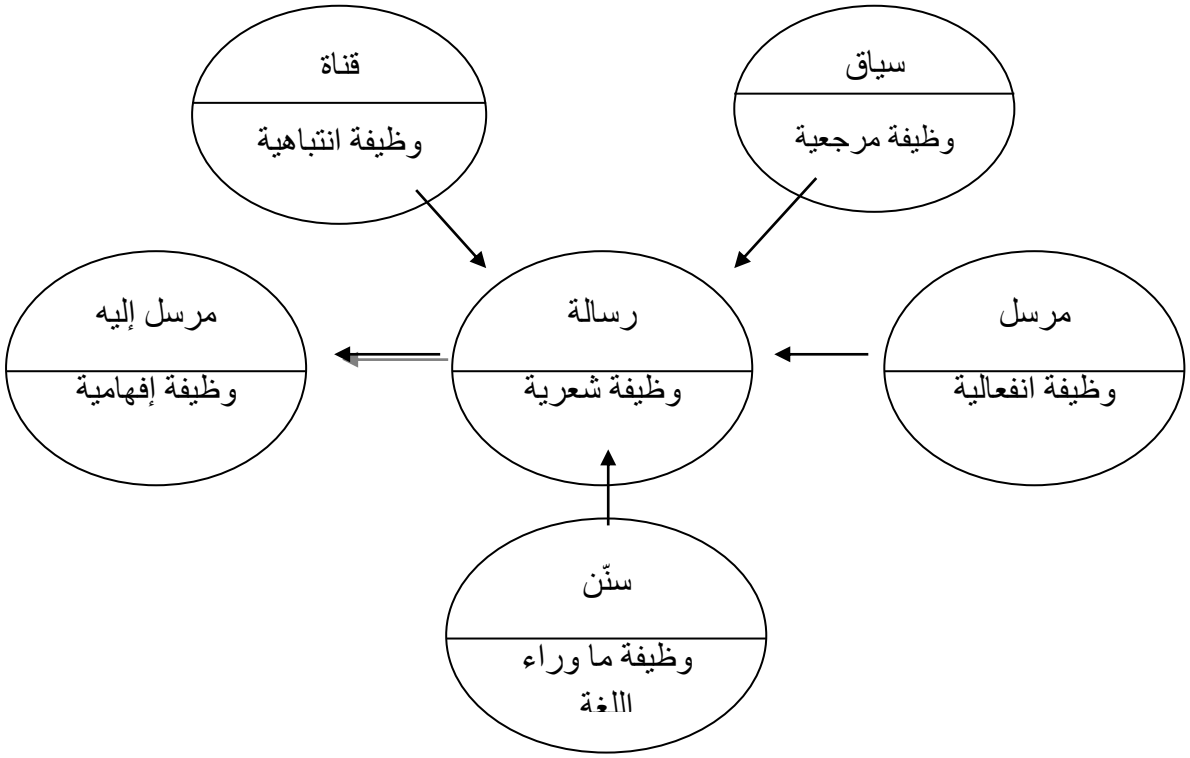

المحاضرة رقم - 7- وظائف اللغة

بعدما حدد دي سوسير تعريف اللغة في كونها نظام من العلامات وظيفتها الأولى هي التواصل، بدأ اللسانيون من بعده في تتبع باقي وظائف اللغة الأخرى غير

الوظيفية الأساسية (التواصل) منهم: بوهلر Bühler، كارل بوبر Karl Popper، مالينوفسكي Malinowski، رومان جاكوبسون R. Jackobson، بريتون Britton، و هاليدي و غيرهم، وفق تصوراتهم المختلفة (التصور التواصلي، السردي، الفلسفي، التربوي، السيميائي، التداولي ...). فما هي يا ترى أهم وظائف اللغة، حسب ما حدّدها علماء اللغة البنويين و الوظيفيين؟

1-مفهوم الوظيفة اللغوية: Fonction

يقصد بالوظيفة اللغوية ذلك الدور الذي يؤديه كل عنصر لغوي داخل ملفوظ ما، أو غير لغوي داخل سياق تواصلي ما. فالمبتدأ له وظيفة محددة داخل الجملة و كذلك الفاعل و المفعول به والحروف و الظروف، و مثلها كذلك الإشارات و الأيقونات والصور لها وظيفتها داخل وضعية تواصلية معيّنة.

2-وظائف اللغة عند ك. بوهلر و ك.بوبر:

انطلق الباحثان في تحديد وظائف اللغة من التصور النفسي ترتبط بالشخص في علاقته بالمجتمع و ثقافته، فقد جعلها ك. بوهلر ثلاثة هي: الوظيفة التعبيرية الانفعالية المرتبطة بالمرسل، و الوظيفة التأثيرية الانتباهية المرتبطة بالمخاطب، و الوظيفة التمثيلية المرتبطة بالمرجع، ثم أضاف لها ك.بوبر الوظيفة الرابعة والمتمثلة في الحجاجية: و قد استفاء منها رومان جاكوبسون في نموذجه التواصلي.

3-وظائف اللغة مالينوفسكي:

تعتبر دراسة النص الثقافي في علاقته بسياقه التكويني و بيئته التي تحيط به من أهم المنطلقات الأنتروبولوجية التي انطلق منها مالينوفسكي من أجل تحصيل الدلالة و الوظيفة، و من أهم هذه الوظائف: الوظيفة البراجماتية (النفعية) و الوظيفة السحرية.

4-وظائف اللغة عند بريتون:

من مجال التعليم و من المبدأ التربوي، حدد بريتون ثلاثة أنواع من الوظائف: التبادلية (التي تركز على تبادل الأحداث و الأدوار، الوظيفة التعبيرية و الوظيفة الشعرية.

5-وظائف اللغة عند رومان جاكوبسون:

سبق الحديث عنها و هي ستة وظائف أساسية متعلقة بأركان التواصل اللساني و هي الوظيفة الانفعالية أو التعبيرية (المرسل)، الوظيفة التأثيرية (الإفهامية)) (المرسل إليه)، الوظيفة الشعرية (الرسالة)، الوظيفة الانتباهية الحفاظية (القناة)، الوظيفة المرجعية (المرجع/ السياق)، وظيفة ماوراء اللغة (السنن) أو وصفية.

و قد توصل إلى هذه الوظائف بالاعتماد على ما سبقه من أعمال أهمها الخطاطة التواصلية لدي سوسير، وظائف اللغة عند بوهلر، و أعمال جون أوستين J. L. Austin بانيا فكرية على الوظيفة المهيمنة في عملية الإرسال.

6-وظائف اللغة عند هاليدي M Halligay:

يعتبر هاليدي من أهم اللسانيين التداوليين الذي بحثوا في **المقصدية***، و قد حدّد هاليدي سبعة وظائف للغة الإنسانية هي:

الوظيفة الأدائية: و تستعمل لتحقيق الرغبات و المنافع و يُمثل له، (أنا أريد)

الوظيفة التنظيمية: تستعمل للتأثير على السلوك و تعديله (افعل ما أقوله لك)

الوظيفة التفاعلية: تستعمل لأجل الدخول في علاقته مع المحيط، مثل: (أنا و أنت)

الوظيفة الشخصية: للتعبير عن الانفعالات الشعورية و اللاشعورية و المشاعر من (أنا ... ها أنا ...)

الوظيفة الخيالية: لاستثمار للغة في التخييل و بناء التصورات الافتراضية مثل (تخيل أنه سيكون).

الوظيفة الاستكشافية: تسمح بطرح الأسئلة و الإشكاليات و التوقعات لأجل بناء المعرفة، لماذا هذه؟

الوظيفة الإخبارية أو الإعلامية: تسمح بنقل المعلومات و تبليغها للآخر: يجب أن أقول لك ...

* **المقصدية:** من اهتمامات التداولية وتعني أن المتكلم باعتباره يمتلك سلطة متفوقة يوجه للمخاطب الذي يكون في مرتبة دنيا مجموعة من الأوامر لتنفيذها بطريقة ميكانيكية. وهناك من يعتبرها قاسما مشتركا بين المتكلم و المتلقي.